

اللاجئون السوريون في تركيا

محمود قايا *

ملخص: يتناول هذا البحث موجات الهجرة نحو تركيا، وتأثيراتها في حالة الحرب السورية، بوصفها امتداداً للحراك الشعبي الذي انطلق في تونس، وانتشر في المنطقة سريعاً، فموجات الهجرة المكثفة التي بدأت نتيجة الحرب الأهلية في سوريا اتجهت نحو تركيا بشكل رئيس. كما نتناول في هذا البحث الأسباب التي دفعت السوريين إلى اختيار تركيا بلداً للجوء، والمناطق التي يتركزون فيها، والتجارب التي يعيشونها في هذه المناطق، وتأثيرهم وإسهاماتهم في اقتصاد تركيا، وتأثير صلة القربى والروابط الثقافية والتاريخية المشتركة بين تركيا وسوريا في عملية الهجرة، وذلك في ضوء المعطيات المتنوعة التي بأيدينا.

* جامعة حران،
تركيا

Syrian Refugees in Turkey

MAHMUT KAYA*

ABSTRACT This research examines the waves of migration towards Turkey and its effects, especially in the Syrian war case, best described as an extension of the popular demonstrations out broke in Tunisia and spread rapidly in the region. After the war, intense migration waves headed mainly to Turkey. By utilizing various related data, this research discusses the reasons led the Syrians to choose Turkey as a country of asylum, and the areas in which they reside, their experiences in these areas, their impact on the Turkish economy, and the effect of the cultural and historical ties between Turkey and Syria on the migration process.

* Harran
University,
Turkey

رؤية تركية

2019 - (8/1)

115 - 105

منطقة الشرق الأوسط وقدرها المشؤوم:

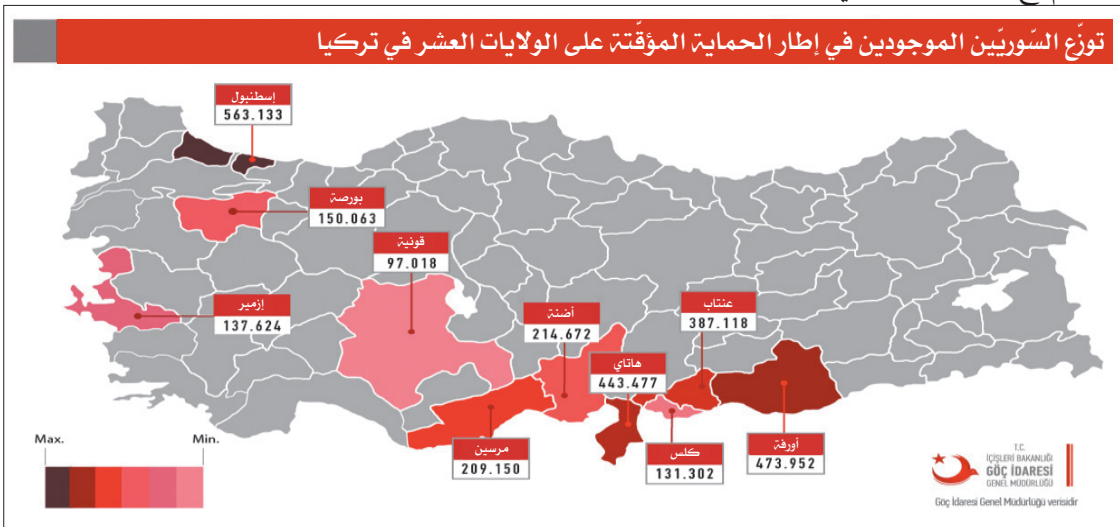
أدى انهيار الإمبراطوريات التي كانت تضم تحت جناحها العديد من العناصر الدينية والعرقية والثقافية المتنوعة إلى نشوء مبادرات لإقامة الدول على أساس الفكرة الوطنية، فحاول كل مجتمع إحياء نفسه في إطار الهوية الوطنية الخاصة به، وكما هو الحال في جميع المناطق شهدت المناطق النائية من الدولة العثمانية أيضًا عملية التحوّل المجتمعي هذه، فبعد انهيار الإمبراطورية العثمانية تحرك الكثير من الأقاليم الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وفي مقدمتها منطقة البلقان والشرق الأوسط من أجل إقامة دولها الوطنية الخاصة بها، ورغم أن معظم هذه المبادرات حصلت بطرق سلمية، فإن القسم الأكبر منها لم تسلم من الاستعمار، وعاشت دول الشرق الأوسط في ظل حكومات الانتداب والانقلابات والمجالس العسكرية والصراعات الداخلية منذ قرن أو يزيد، وبينما كانت هذه الدول تعيش قدرها المشؤوم على أيدي حفنة من النخب العسكرية والسياسية التي لا تكثر بمطالب المجتمع في الحرية والديمقراطية؛ اندلعت الاحتجاجات في تونس عام 2011، ثم امتدت حتى اجتاحت دولاً أخرى مثل مصر وسوريا واليمن وليبيا والبحرين، ليأخذ بعداً إقليمياً، وأطلق الخبراء والمختصون على هذا الحراك الاجتماعي مفهوم "الربيع العربي".

فالجماهير التي عاشت طويلاً تحت وطأة القمع والاضطهاد والتعذيب والفقر والبطالة والتضخم المرتفع والفساد والسياسات المزاجية قالت: "كفى!!"، ونزلت إلى الساحات، لكن جهود المجموعات التي افتقرت إلى التنظيم الكافي والقيادة والدعم السياسي والاقتصادي تعرضت للشلل في العديد من الدول؛ فتحوّلت سوريا وليبيا إلى ساحة للصراعات الداخلية، وأبعد معمر القذافي عن السلطة، وقتل بطريقة شنيعة، ولا تزال الفوضى والأزمة سيّدة الموقف في ليبيا، وفي مصر تنحى حسني مبارك عن السلطة وحلّ مكانه محمد مرسي، الذي اعتقله الجيش وسجنه بعد فترة قصيرة، من خلال الانقلاب عليه، وأصبح البلد تحت الحكم العسكري، وبقيت تونس الدولة الوحيدة التي استكملت العملية بطريقة معتدلة نسبياً دون أن تشهد صراعاً داخلياً أو أزمة سياسية، أمّا في جارتنا سوريا، فبدأت الاحتجاجات عام 2011، وسرعان ما تحوّلت إلى صراعات مسلحة بين المجموعات المختلفة، ولا يزال بشار الأسد متمسكاً بالسلطة والحرب مستمرة في بلده، وبسبب هذه الحروب والهجرات والأزمات الإنسانية تحوّل "الربيع العربي" الذي بلغ عامه الثامن إلى ما يسمى بالشتاء العربي، بل إلى جهنم بالنسبة لبعض الشعوب، ولم يقتصر تأثيره على الدول المذكورة، بل تجاوزها إلى الدول المجاورة أيضاً، وتأثرت العديد من دول العالم بشكل مباشر أو غير مباشر بهذه الصراعات، وتبوأت الهجرة مكانها في جدول أعمال جميع دول العالم، كما تحمّلت دول الجوار مثل تركيا ولبنان والأردن والعراق ومصر العبء الأكبر من تكاليف الهجرة السورية.

كانت تركيا الدولة الأكثر استقبالاً للاجئين بعد عهد الإمبراطورية، حيث استقبلت حوالي مليوني لاجئ/ مهاجر أغلبهم من الأصول التركية عام 1987، وهذا العدد بالطبع يعدّ صغيراً مقارنةً مع العدد الذي زاد على 3.5 مليون سوري¹ لجؤوا إلى الأراضي التركية منذ عام 2011،² تتأثر تركيا تأثراً بالغاً باتجاهات الهجرة المتغيرة، وذلك بسبب موقعها المركزي المتوسط في خطوط الهجرات الدولية بين آسيا وإفريقيا وأوروبا، وارتباطها بالعديد من الدول المانحة والمستقبلة للمهاجرين³. ومن هنا لم تسلم تركيا من تأثير حركات الهجرة التي تشهدها واحدة من المناطق المذكورة، وإلى جانب تدفق اللاجئين إليها من مختلف الدول، مثل أفغانستان والعراق وإيران والباكستان- تستضيف تركيا حالياً أكبر عدد من اللاجئين السوريين؛ لتكون بذلك الدولة الأكثر استقبالاً للاجئين في العالم إلى الآن.

ترخر أدبيات الهجرة بالأسباب التي تدفع الناس إلى الهجرة، وتأتي في مقدمة هذه الأسباب رغبة المهاجرين في تأمين معيشة أفضل لهم ولعائلاتهم، ويمكن القول: إن الزيادة الحاصلة في ظاهرة الهجرة سواء من حيث النوعية أم الكمية لها صلة وثيقة بالتغيرات التي تحدث في أسواق العمالة في البلدان المتقدمة،⁴ لكنّ السبب الأساسي في الهجرات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2011 هو الحروب/ الصراعات الإقليمية، والأزمات السياسية والإنسانية، وما يصحبها من ندرة الوصول إلى الاحتياجات البشرية الأساسية، وقد بلغ عدد اللاجئين السوريين المسجلين في كلّ من تركيا والأردن ولبنان ومصر والعراق 5.624.891 لاجئاً، بينهم 433.760 لاجئاً يعيشون في المخيمات، بحسب معطيات المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.⁵ وتفيد معطيات المديرية العامة للهجرة التركية بوجود 3.562.523 لاجئ سوريّ مسجل في تركيا لغاية حزيران / يونيو 2018؛ بينهم 214.618 لاجئاً في مراكز الإيواء، و3.347.905 لاجئين يعيشون في انسجام مع السكان المحليين في المدن والأرياف.⁶

توزع السوريين الموجودين في إطار الحماية المؤقتة على الولايات العشر في تركيا



المخطط 1: الولايات العشر الأولى الأكثر ازدحاماً بالسوريين

هل السورويون لاجئون أو ضيوف أو مهاجرون؟

هناك تصنيفات مختلفة للأشخاص الذين يغيرون أماكنهم طوعاً أو كرهاً، ويشكل اللاجئ والمهاجر وطالب اللجوء أكثر الفئات البشرية المهاجرة شيوعاً، تطلق كلمة المهاجر على الأشخاص المهاجرين بوصفها صفةً عامةً، ويطلق طالب اللجوء (asylum seeker) على الشخص الذي ينتظر نتيجة طلبه للحصول على صفة اللجوء في بلد آخر غير موطنه الأصلي بحثاً عن الأمن وهرباً من الظلم والاضطهاد، في إطار المواثيق الوطنية أو الدولية، ويجب على الشخص مغادرة البلاد إذا كانت نتيجة الطلب سلبيةً، وإذا لم يمنح إذن الإقامة على أساس إنساني أو لسبب آخر، حينئذ يتعامل مع هذا الشخص كأجنبي مقيم في البلاد بصفة غير شرعية، ويمكن إبعاده خارج الحدود.⁷ في حين تحمل كلمة اللاجئ (refugee) صفةً قانونيةً. وقد ظهرت هذه الصفة بفعل المأساة الإنسانية التي شهدتها العالم في الحرب العالمية الثانية التي أسفرت عن تهجير 20 مليون شخص من ديارهم وأوطانهم، وتذكر المادة 1/14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948 أنه "لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى والتّمتع به خلاصاً من الاضطهاد"، أما الأمم المتحدة فقد عرّفت اللاجئ بأنه "الشخص الذي يوجد خارج بلد جنسيته أو بلد إقامته المعتادة، بسبب خوف له ما يسوغه من التّعرض للاضطهاد بسبب العنصرية، أو الدين، أو القومية، أو الانتماء إلى طائفة اجتماعية معينة، أو إلى رأي سياسي، ولا يستطيع بسبب ذلك الخوف، أو لا يريد أن يستظل / تستظل بحماية ذلك البلد، أو العودة إليه خشية التّعرض للاضطهاد".

وقد حدّد الوضع القانوني للاجئين على المستوى الدولي في اتفاقية (معاهدة) جنيف لعام 1951 و"البروتوكول الإضافي لاتفاقية وضع اللاجئين" في عام 1967، ومنحت الاتفاقية الأطراف ذات الصلة استثناءين مهمين فيما يتعلق بسريانها؛ أولهما متعلق بالتاريخ، (وهو على شكل خيارين: 'باستثناء الأحداث التي وقعت قبل 1951'، أو 'الأحداث الواقعة دائماً')، والآخر متعلق بالجغرافية، وقد حدّدت تركيا التزاماتها الدولية في قضية اللاجئين وطالبي اللجوء وفقاً لـ "معاهدة جنيف 1951" و"البروتوكول المتعلق بالوضع القانوني للاجئين لعام 1967". فقد أعلنت تركيا وهي من أوائل الدول التي انضمت إلى معاهدة جنيف وفقاً للبيان المؤرخ في 29 آب/ أغسطس -1961 أنها ستطبق استثناء "التقييد الجغرافي" الوارد في المعاهدة، أي أنّها لن تستقبل الشخص القادم من خارج أوروبا باعتباره "لاجئاً" مهما كانت حجته، إذ يمنح الأشخاص القادمون (فقط القادمون من أوروبا) إلى تركيا صفة "اللاجئ" و"اللاجئ المشروط" و"الحماية الدولية" و"الحماية المؤقتة". أما الوضع القانوني للسوريين المقيمين في تركيا فهو "الحماية المؤقتة" في إطار "نظام الحماية المؤقتة" الذي شكّل مؤخراً.⁸ ومن هنا فإنّ السوريين الذين لا يحملون صفة اللاجئ يعيشون في تركيا تحت الحماية المؤقتة وفقاً للترتيبات القانونية المذكورة، والشعب التركي ينظر إليهم بمفهوم "الضيف" و"المهاجر" ويعاملهم على هذا الأساس.

تعدّ ثقافة الضّيافة عرفاً موروثاً من الثقافة القديمة التي كانت منتشرة قديماً في الأناضول، ويقوم اصطلاح المهاجر على مفهوم الهجرة التي وقعت في التاريخ الإسلامي، فهجرة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة هرباً من بطش قريش في مكّة، وتسميته أهل المدينة بالأنصار والوافدين من مكّة بالمهاجرين أدّت إلى تطوّر علاقات التّعاون والتّضامن وبناء مجتمع قائم على المرجعيّة الدّينيّة.

ضرب الشّعب التّركي أروع الأمثلة العمليّة في الاهتمام والتّعاون والتّضامن والمشاركة التي يتطلّبها مفهوم الضّيافة ومفهوم المهاجرين والأنصار، ولاسيّما في المناطق الحدوديّة، ومّا يشير إلى هذا القبول المجتمعيّ وجود 98٪ من السّوريين جنباً إلى جنب مع إخوانهم الأتراك في المدن، وقد أظهر السّكان المحليون، ولاسيّما في المناطق الحدوديّة، أمثلة مهمّة لحياة الأنصار مع السّوريين؛ فتقاسم السّكان المحليون بيوتهم وأشياءهم وموائدهم مع السّوريين وفق ما تمليه عليهم الرّوابط التّاريخيّة والثّقافيّة القديمة مع سوريا، ولم يتخلّف الضيوف السّوريون عن التّعبير عن امتنانهم وشكرهم للشّعب التّركي بحسب البحوث التي جرت ولاسيّما في الولايات الحدوديّة.

هل تركيا بلد الغربة أو بلد الأقرباء؟

تسببت الصّراعات في سوريا في نشوء "موجات الهجرة" المفاجئة إلى الدّول المجاورة، واضطرت دول الجوار إلى مواجهة الهجرة الجماعيّة المفاجئة، وتشكّل تركيا الدّولة الأكثر استقباليةً للاجئين السّوريين من بين دول الجوار، كما هو واضح في الجدول الآتي التّابع للمفوضيّة العليا للأمم المتّحدة لشؤون اللاجئين، إذ يقيم في تركيا حالياً أكثر من 3.5 مليون سوريّ تحت الحماية المؤقتة، يعيش من هذه الكتلة البشريّة 8٪ فقط في المخيمات، بينما يعيشون 92٪ منهم جنباً إلى جنب مع الشّعب التّركي.

اسم الدولة	المصدر	التاريخ	النسبة	التعداد
تركيا	المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين	28 يونيو 2018	63.3٪	3.562.523
لبنان	المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين	31 مايو 2018	17.5٪	982.012
الأردن	المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين	24 يونيو 2018	11.9٪	666.596
العراق	المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين	31 مايو 2018	4.5٪	250.708
مصر	المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين	31 مايو 2018	2.3٪	129.507
أخرى (شمال إفريقيا)	المفوضيّة العليا لشؤون اللاجئين	15 مايو 2018	0.6٪	33.545

الجدول 1: توزّع اللاجئين السّوريين في دول المنطقة

المراجع: <https://data2.unhcr.org/en/situations/syria>

رغم أن الأرقام الواردة أعلاه هي نتيجة سياسة الباب المفتوح التي انتهجتها تركيا بصفة قانونية، فإن الروابط التاريخية والثقافية وعلاقات القرابة بين الطرفين تشير إلى المعنى السوسولوجي لهذه الأرقام، ولا شك أن الروابط التاريخية والثقافية الموروثة من العهد العثماني تشكل بعض تلك الروابط؛ فالعلاقات التي بدأت مع معركة مرج دابق عام 1516م إنما تستند إلى ماضٍ يمتد إلى 400 عام، قبل أن يصل إلى نقطة النهاية مع اتفاقية سايكس بيكو عام 1916، وقد حدثت خلال هذه الفترة تفاعلات إدارية واجتماعية وثقافية بين المدن الحدودية الحالية، مثل أنطاكية وكلس وعينتاب وأورفة وماردين ونظيراتها السورية، كالرقة وإدلب وكوباني (عين العرب) وحلب، ومن الممكن رؤية آثار الذاكرة المشتركة من خلال العديد من الطقوس الثقافية في الزبي وثقافة المطبخ والموسيقا والفنون الشعبية والعمارة والفن ومراسم الاحتفالات والنزهات، ولا ننسى أن أواصر القربى تكونت نتيجة الزواج المتبادل أيضاً في المناطق التي ازدهرت فيها التجارة والزيارات المتبادلة بين الطرفين قبيل الحرب،⁹ وقد أدت علاقات التجارة/التهرب بين أنطاكية وأورفة وعينتاب وكلس وإدلب والرقة وكوباني وحلب - دوراً كبيراً في تنمية المنطقة لعهد طويل، كما أن روابط العشيرة والقربى القائمة قبل نشوء الدول الوطنية تبقى دليلاً واضحاً على قدم العلاقات بين المجتمعين.

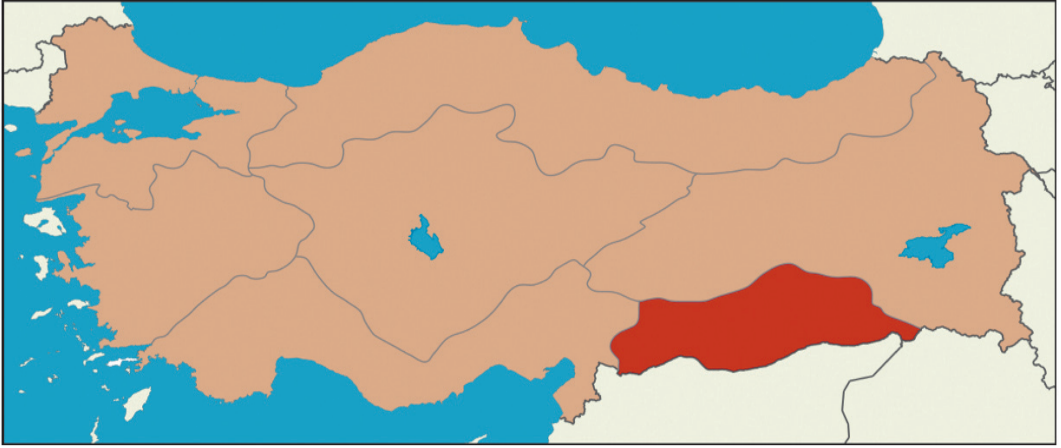
وقد منحت الإدارة العثمانية فرصة العيش المشترك - إلى جانب أتباع العقائد المختلفة من المسلمين واليهود والنصارى واليزيديين الخاضعين لها - للعناصر العرقية الأخرى، مثل العرب والتركمان والأكراد، والعشائر والقبائل التي تستظل تحت هذه الإثنيات أيضاً، ففي الدراسة التي أجراها م. سايكس في أقاليم الأناضول والعراق وسوريا التي كانت تحت حكم الإمبراطورية العثمانية أجرى تصنيفه للعشائر وفقاً لتوصيف الاسم والدين وعدد أفراد العائلة والثقافة والعادات - فقد وردت أسماء العشائر في إقليم سوريا في الدراسة المذكورة على الشكل الآتي؛ شيخان، غوران، برزا، رشقان، عليقاني، ميلان (ميلي) برزيه (كيدقان، شايقان، شادادان، علي ديدنلي، معافان، زروان، بيجان، قركت جهان، دينان، مير، ديدان)، ورغم وجود بعض الاختلافات في تسميتها فإنه ورد ذكر العشائر المرتبطة بأواصر القربى في سوريا وتركيا في تقرير يعود إلى عام 1970 على الشكل الآتي: عليان، براق، بقارة، برازي، عدوان، علاء الدينلي، بيجانلي، دنانلي، ديدانلي، كتنان/ كتنانلي، شداي، سيحانلي، بادلي، بيديلي (قريشكلي)، بيني محمد، جميلي، ألبيلي، غاراجنا، غوران/ كوران، حديدي، هيبتي، مندان، مشهور، سياله، شارقيان، شيخان، شيخانلي، ميلي، ميران، طاح، طاي، تركان، رشوان، توركان.¹⁰



المخطط 2: روابط القربى في طرفي الحدود السورية التركية

أدت الحدود المقامة بين الدول الوطنية إلى قطع أواصر القربى، ولكنّ الناس في كلا الطرفين حافظوا عليها من خلال التبادل الثقافي والاجتماعي، وتبادل الزيارات، والمشاركة في الأفراح والأتراح، والزواج المتبادل، وبفضل روابط القربى والتضامن في كلا المجتمعين حصلت الهجرة التي بدأت عام 2011 بشكل سلس يؤمن الانسجام، وتلقّى المهاجرون السوريون من أقاربهم الأتراك مساعدات في مجالات عدّة، مثل الإيواء والأمن والصحة والتغذية والإجراءات البيروقراطية.

يشكّل التمرکز المكاني للمهاجرين إشارةً أخرى إلى الروابط المميّزة بين تركيا وسوريا، وعند التّظر إلى توزّع السوريين في تركيا، نرى أنّ 1.628.231 شخصاً (45٪ من أصل 3.5 مليون) يعيشون في الولايات الحدودية وجوارها، ويشكّل هذا العدد نصف أعداد السوريين في تركيا تقريباً، بمعنى آخر، يقيم 5 أشخاص تقريباً من أصل 10 سوريين في الولايات الحدودية وجوارها، هذا التمرکز المكاني يذكّرنا في الواقع بالمبدأ القائل "النسبة الكبرى من المهاجرين يختارون المكان الأقرب مسافةً للاستقرار فيه"¹¹ وهو الوارد في القانون الأول من قوانين الهجرة السبعة المبيّنة في الدراسة العلمية الأولى التي أجراها رفاستين ذات الصلة بالهجرة، وقد نشر دراسته عام 1885 بعنوان "قوانين الهجرة" (The Laws of Migration)، وعند التّظر إلى التمرکز الواقع في دول الجوار الأخرى لسوريا (انظر المخطط 2) تبين أنّ التمرکز الواقع في تركيا يتجاوز مبدأ قرب المسافة المذكور، ومن هنا يظهر هذا المخطط أمامنا بوصفه نتيجة للروابط القديمة بين المجتمعين، والتي تتجاوز القرب الجغرافي بين تركيا وسوريا.



المخطط 3: يقيم قرابة نصف السوريين في تركيا في الولايات الحدودية وجوارها

والجدير بالذكر هنا أن أعداد السوريين في المناطق الحدودية المذكورة أعلاه يدل على قوة العلاقات التاريخية والثقافية، وعلاقات النسب القائمة مع تركيا، وقد أشارت إحدى الدراسات التي أجرتها إحدى المؤسسات الدولية إلى وجود تقارب ثقافي أكبر بين السوريين والسكان المحليين في المدن الكبرى في المناطق الحدودية في غرب البلاد، وقد أدى هذا الأمر إلى تيسير الانسجام، وتخفيف التوترات بين المجتمعين،¹² ومن ثم لا تشكل تركيا عامّةً والولايات الحدودية خاصةً بلدًا أجنبيًا أو اغترابًا، بل بلد الصلة والوطن والأُم وبلد الأجداد، ورغم أن حدود الدولة الوطنية فرقت بين الإخوة وأولاد العمومة والأحوال والخالات على طرفي الحدود، إلا أن عمليات النزوح الأخيرة كانت وسيلة في إعادة توحيد هذا الافتراق القسري، غير أن حجم الوافدين الكبير شكّل عبئًا ثقيلًا، تجاوزت التزاماته التزامات القرابة، وفي هذا الصدد، عززت الذاكرة التاريخية والثقافية المشتركة فكرة القبول لدى المجتمع، وتعاون جميع سكان البلاد في تحمّل الأعباء.

هل السوريون نعمة أو نقمة؟

تحمّل عملية النزوح بحدّ ذاتها أعباءً مختلفةً بالنسبة للتأزحين والأماكن التي نزحوا إليها على حدّ سواء، فالحاجات الأساسية بدءًا من التعليم والعمل والصحة والإيواء والغذاء، وصولاً إلى القمامة والنفايات التي تنتجها جماهير التأزحين، تتطلب تكلفةً اقتصاديةً معينةً واستخدامًا للأفراد، ومن الواضح أن نزوح السوريين إلى تركيا شكّل عبئًا اقتصاديًا معينًا على الميزانية العامة والميزانية الخاصة للأفراد، فوفقًا للأرقام الرسمية، بلغت الكلفة المالية المصروفة على الصيوف السوريين خلال الفترة التي تجاوزت سبع السنوات قيمة 84 مليارًا و880 مليون ليرة تركية، تعادل هذه القيمة بالدولار الأمريكي مبلغ 30 مليارًا و285 مليونًا و573 ألف دولار أمريكي، تتضمن المصاريف المذكورة الخدمات المقدمة منذ عام 2011

وحتى اليوم في مجالات: خدمات إدارة الكوارث والطوارئ التابعة لرئاسة الوزراء، وخدمات الأمن والتّظام العامّ، والخدمات الصحيّة، وخدمات التّعليم، والخدمات المقدّمة في مناطق درع الفرات، والخدمات البلديّة، والخدمات المتعلقة بالأنشطة التّطويّة الأخرى،¹³ إذ يعتمد 82٪ من السّوريّين في معيشتهم على المعونات التي تقدّمها الدّولة وفقاً لتتائج المسح السّوريّ الباروميّ عام 2017.¹⁴ ومن الواضح أنّ الغالبية العظمى من السّوريّين يعتمدون في معيشتهم على صندوق الاتّحاد الأوربيّ والمساعدات العامّة والخاصّة.

وللميداليّة وجه آخر، هو الإسهامات التي يوفّرها السّوريّون للاقتصاد التّركيّ، فالهجرة تشكّل أزمة من ناحية، وفرصة من ناحية أخرى؛ لأنّها لا تقتصر على هجرة البشر فقط، بل بلغ رؤوس الأموال أيضاً، ولدى النّظر من هذه الزّاوية، نجد أنّه أسّست في تركيا 6 آلاف و322 شراكة عمل سورية ما بين عامي 2011 و2017، كما يلاحظ أنّ استثمارات السّوريّين في تركيا تجاوزت قيمتها 360 مليون دولار أمريكيّ،¹⁵ وتجدد الإشارة إلى أنّ المناطق الحدوديّة ولاسيّما المدينة الصّناعيّة في عينتاب كان لها الحظّ الأوفر من هذه الاستثمارات، فقد بلغ عدد الشّركات السورية المنشأة ألفاً و247 شركة وفقاً لمعطيات عام 2017،¹⁶ فإذا كان اللاجئون السّوريّون شكّلوا عبئاً عامّاً من ناحية، فإنّهم من ناحية أخرى قدّموا إسهاماً كبيراً في اقتصاد تركيا إذا أخذ بالحسبان هجرة رؤوس الأموال، ومن ناحية أخرى، لا بدّ من تمكين الأدمغة المهاجرة من أجل خدمة التّازحين والمجتمع المضيف على حدّ سواء؛ وإلاّ هاجرت إلى أوربّا باعتبارها عامل جذب مهمّ.

من الواضح أنّ السّوريّين يشكّلون عبئاً معيّنًا على اقتصاد تركيا، وهذا يشكّل نوعاً من الاستياء لدى السّكّان الفقراء في معظم المدن الكبيرة، ولهذا لا بدّ من الإسراع في التّخطيط في مجال العمل والعمالة، وجعل العمل إلزامياً بالنّسبة لبعض التّازحين؛ لأنّ المعونات تولّد بعد مدّة نمط حياة قائم على البطالة والاعتماد على المعونات، وللحدّ من ذلك، يجب على المؤسّسات العامّة والمنظّات الأهليّة إعداد المشروعات، ولاسيّما مشروعات المنظّات الدّوليّة، بحيث تقوم على تشغيل العمالة السورية.

الخاتمة

أدت الصّراعات والحروب والانقلابات والحكومات الاستبداديّة إلى تدهور الظّروف المعيشيّة في منطقة الشرق الأوسط، فالربيع العربيّ بفعل تدخّل الجهات الفاعلة الدّوليّة جلب الحرب والموت والدمار والظّلم إلى المنطقة، بدل الأمن والاستقرار، فاضطرّ سكّان المنطقة إلى ترك ديارهم وأوطانهم، واندفعوا لاجئين بشكل جماعيّ إلى الدّول المجاورة، وما عشناه في النّموذج السّوريّ منح تركيا تجربة مهمّة في مجال الهجرة، فقد أدّت الرّوابط الدّينيّة والتّاريخيّة والثّقافيّة والعربيّة والقربى الموروثة من الماضي بين البلدين دوراً كبيراً في

القبول والتضامن والتعاون خلال عملية الهجرة، لكن حجم الكتلة البشرية المهاجرة، وطول مدة الإقامة، والظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المدن التي استقبلت المهاجرين رافقتها صعوبات مختلفة أيضاً. وإذا كانت الموائق الدولية التي تشارك فيها تركيا تمتنع عن إطلاق صفة اللاجئين على الأشخاص القادمين من الشرق الأوسط؛ فإن ثقافة الأناضول والاعتقادات الدينية السائدة تعدّ السوريين القادمين ضيوفاً ومهاجرين، وقد عاملهم الشعب التركي وتركيا على هذا الأساس، وأنشأت آليات قبول مختلفة مهمة في هذا الخصوص، وحال الميراث التاريخي المشترك بين المجتمعين نسبياً دون شعور السوريين بالغربة في تركيا، وشاركت رؤوس الأموال السورية في دعم الاقتصاد التركي، ولكن بعض المناطق لم تخل من المشكلات الاقتصادية بسبب مستويات البطالة الإقليمية لكون معظم المهاجرين من الأطفال والنساء. من ناحية أخرى، يشكل تشغيل السوريين بصفة غير قانونية وبأجور زهيدة في المدن الصناعية حقيقة مؤلمة. وعندما نأخذ الظروف جميعها بعين الاعتبار، يمكننا القول: إن الأمر لن يخلو من الصعوبات، وأن المهاجرين السوريين سيتعرضون للصعوبات نظراً لكثرة أعدادهم، لهذا السبب، لا بد من مراجعة سياسات الهجرة، وإعداد مخططات وإستراتيجيات طويلة الأمد، ورجاؤنا الأساسي هو أن يبذل الجميع جهودهم من أجل وضع حد للحروب في مناطق الصراع، وفي مقدمتها سوريا، ووضع حلول سياسية في ضوء المبادئ الديمقراطية.

الهوامش والمصادر :

1. <http://www.unhcr.org/tr/unhcr-turkiye-istatistikleri> . تاريخ زيارة الموقع: 07 . 07 . 2018.
2. م. مراد أردوغان. لاجئو المدن من "الانفصال" إلى "الانسجام". وإدارة البلديات للاجئين السوريين: إسطنبول نموذجاً. منشورات اتحاد بلديات مرمرة الثقافية. كانون الثاني / ديسمبر 2017، ص16.
3. أحمد إيج دويغو. ودملاب. أكسل. الهجرة غير النظامية في تركيا. منشورات IOM. أنقرة 2012. ص17.
4. قوت لورد أوغلو. الهجرة غير النظامية إلى تركيا وبعض تداعياتها على سوق القوة العاملة. العمل والمجتمع. 1 / 2015. العدد 44، ص30.
5. https://data2.unhcr.org/en/situations/syria#_ga=2.60098923.752542550.15301105976754.1530954031-954031 . تاريخ زيارة الموقع: 07 . 07 . 2018.
6. http://www.goc.gov.tr/icerik6/gecici-koruma_363_378_4713_icerik . تاريخ زيارة الموقع: 07 . 07 . 2018.
7. http://publications.iom.int/system/files/pdf/iml31_turkish_2ndedition.pdf . تاريخ زيارة الموقع: 08 . 07 . 2018.
8. أردوغان. المرجع السابق. ص16-17.
9. محمود قايا. "الضيافة لدى الجار: العيش في تركيا من منظور الجمعيات التي أسست من أجل

- TheJournal of AcademicSocialScienceStudies International "اللاجئين السّوريّين".
Journal of SocialScience, Autumn III 2015, 263- 279, doi:http://dx.doi.
org/10.9761/JASSS3050. رقم 39, ص271.
10. محمود قايا، السّوريّون في تركيا: التّداخلات والمواجهات: 36- 35. Hiperlink, 2017.
 11. جمال بالجين، سسسيولوجيا الهجرة، منشورات An1، أنقرة 2004.
 12. مجموعة الأزمات الدولية، اللاجئون السوريون في تركيا: تخفيف التوترات في المدن. تقرير أوروبا رقم: 248، 2018، ص3.
 13. <https://www.aa.com.tr/tr/ekonomi/basbakan-yardimcisi-akdag-suriyeliler-icin-harcanan-toplam-maliyet-84-milyar-880-milyon-lira/99050> تاريخ زيارة الموقع: 09 .07 .2018
 14. [suriyeliler-barometresi-/06/https://mmuraterdogan.files.wordpress.com/2016-06/suriyeliler-barometresi-/06/](https://mmuraterdogan.files.wordpress.com/2016-06/suriyeliler-barometresi/) تاريخ زيارة الموقع: 09 .07 .2018
 15. <http://www.haberturk.com/suriyelilerin-turkiye-ekonomisine-etkisi-arastirildi-1628337-ekonomi> تاريخ زيارة الموقع: 09 .07 .2018
 16. <http://www.gto.org.tr/upload/download/Faaliyet-Raporu-2017.pdf> تاريخ زيارة الموقع: 09 .07 .2018